

## أسرّ إيرانية في الحضارة الإسلامية

### - آل ميكال نموذجاً - \*

أ.د. محمد علي آذرشب

أستاذ في جامعة طهران

(از ص ١٥ تا ص ٢٣)

### ملخص

الحديث عن مشاركة الإيرانيين في الحضارة الإسلامية يعني التعامل الحضاري مع شعوب الأراضى المفتوحة، فالى جانب الجهود الجبارة التي بذلها الإيرانيون أفراداً لخدمة الحضارة الإسلامية، ثمة جهود بذلتها أسرّ إيرانية في هذا المجال، و منها أسرة آل ميكال النيشابورية و أشهرهم أبو الفضل الميكالي.

### الكلمات الأساسية

حضارة، أسرّ إيرانية، آل ميكال، نيشابور، أبو الفضل الميكالي.

## مقدمة

التحام الايرانيين بالحضارة الاسلامية بعد الفتح الاسلامي، و حجم ما انتجوه من عطاء في هذا الإطار يبين حقيقة هامة هي أن الاسلام دخل الى ايران عن طريق القلوب، لا بحدّ السيف كما تذكر ذلك بعض الروايات التاريخية المحرّفة، و كما يركز على ذلك معظم المستشرقين مستنديين الى تلك الروايات.

الى جانب الكثرة الكثيرة من العلماء الايرانيين في مختلف حقول المعرفة الدينية و غير الدينية، ممن قدّموا إنتاجاً مدهشاً منذ القرن الأول الهجري، نرى ظاهرة فريدة في إطار الحضارة الاسلامية، و هي دخول أسر إيرانية في خدمة هذه الحضارة، حتى أصبح اسم هذه الأسر مقروناً بمكانتها المرموقة في التاريخ الثقافي و العلمي والسياسي و العسكري الاسلامي.

من تلك الأسر، أسرة آل برمك، و آل سهل، و آل نوبخت، و آل طاهر، و آل بويه، و نقف في مقالنا هذا عند أسرة نيشابورية عريقة هي أسرة آل ميكال.

## أسرة آل ميكال

هذه الاسرة ظلت لمدة تزيد على قرنين تساهم بشكل فعّال بأرض خراسان في الحقول الاجتماعية و السياسية و الثقافية و الأدبية (اليتيمة ٤/٣٥٤)، و قدمت في ظل دول الطاهريين و السامانيين و الغزنويين، من أواخر القرن الثالث حتى أواسط القرن الخامس خدمات جُلّى في الحقول المذكورة.

ينسب السمعاني هذه الاسرة الى يزدجرد بن بهوام گور (الانساب / ٥٤٩) و ليس ثمة معلومات عن ميكال جدّ هذه الاسرة، لكن ابنيه «محمد» و «شاه» من أوائل الوجوه البارزة في هذه الاسرة، ثم إن أبناء محمد و شاه، و خاصة أبناء محمد، كان لهم دور بارز في الأدب العربي، و نشير هنا الى أهم تلك الوجوه:

١. «شاه» ابن ميكال، أبو غانم، كان مرتبطاً بالطاهريين، و من ممدوحى البحتري،

و من مدائح البحتري فيه قصيدة مطلعها: (الديوان / ٢٨٨)

يا أبا غانم ولاز  
و أخرى مطلعها: (الديوان / ٦٥٤)

مالذا الظبي لا ينال اقتناصه وهو بالقرب بيّن إفراصه؟  
و يرد في التاريخ اسم «محمد بن ميكال» شقيق «شاه»، وكذلك حفيد «شاه»: محمد بن غانم بن شاه على أنهما من قادة الجيش (تاريخ الطبري ٣٠٢/٩)، و ليس لبقية أبناء «شاه» ذكر، لكنّ أبناء محمد اشتهر ذكرهم.

عبدالله بن محمد كان في جيش عمرو بن ليث الصفار، ثم تولى أمر فارس و أهواز من قبل الخليفة العباسي، و ظل هناك حتى وفاته سنة ٣٠٨ هـ ولده الوحيد اسماعيل (أبو العباس) برز نجمه في سماء العلم و الأدب.

٢. اسماعيل بن عبدالله، أبو العباس، ولد في نيشابور و ترعرع في أرض حكومة والده، و درس اللغة العربية و آدابها على أبي بكر بن دريد، و هذا العالم اللغوي ألف «جمهرة اللغة» باسمه، و هو يقول عن تلميذه:

«فعاشرت منه شهاباً ذكياً، و سابقاً مبرّزاً، و حكيماً متناهِياً، و عالماً متقناً، يستنبط الحكمة بتعظيم أهلها، و يرتبط العلم بتقريب حملته، و يستجر الأدب بالبحث عن مظانه.. فبذلت له مصون ما اكتننت... فارتجلت الكتاب المنسوب الى جمهرة اللغة» (جمهرة اللغة / المقدمة).

و أبو العباس يقول عن أستاذه:

«أملى عليّ أبوبكر الدريدي كتاب الجمهرة من أوله الى آخره حفظاً في سنة سبع و تسعين الا في باب الهمزة و اللفيف، فانه طالع له بعض الكتب» (معجم الادباء ١٣٨/١٨).

و في المقصورة ينشد ابن دريد مادحاً عبدالله بن ميكال و ابنه أبا العباس اسماعيل، يقول:

إن كنت أبصرت لهم من بعدهم  
مثلاً فأغضيت على و خز السفا  
حاشا الاميرين اللذين أوفدا  
عليّ ظلاً من نعيم قد صفا

و يعدّ أبو العباس من كبار المحدثين حتى أن عبد الغفار الأخرس و الحسام النيشابوري أخذوا عنه الحديث.

لم يستجب اسماعيل لطلب الخليفة أن يتولى حكومة و الده بعد وفاته، فرحل الى نيشابور حيث طلب منه الوزير أبو جعفر بن الحسين العتبي أن يتولى ديوان الرسائل لسلطان خراسان آنذاك عبد الملك بن نوح الساماني، فوافق، و بذلك دخل بلاط السامانيين.

ولأبي العباس أربعة أبناء كان لهم - في عصرهم - كوالدهم مكانة في الأدب و الفقه و الحديث و المنزلة الاجتماعية و هم: عبدالله، و محمد، و علي، و عباس. ٣. عبدالله بن اسماعيل الميكالي، أبو محمد، يقول عنه الثعالبي (اليتيمة ٤/٤١٧): «و هو أشهر، و ذكره أسير، و فضله أكثر من أن ينبّه عليه. و له - مع كرم حسبه و تكامل شرفه - فضيلة علمه. كان من الكتابة و البلاغة بالمحلّ الأعلى. و له من سائر المحاسن القدر المعلى. فكان يحفظ مائة ألف بيت للمتقدمين و المحدثين يهدّها في محاضراته، و يحلّها في مكاتباته».

قيل إنه كان يقرأ القرآن كاملاً في ركعتي صلاته، و انعقدت له مجالس الحديث في نيشابور و دامغان و الكوفة و مكة. و حج سنة ٣٧٩ هـ و توفي هناك عن ٧٢ سنة، و شُيِّع تشييعاً مهيباً، دلالة على شهرته و مكانته بين المسلمين آنذاك، و دفن الى جانب الفضيل بن عياض.

والمقدسي رأى مجالس عبدالله الميكالي، و تحدث عن عظمتها و عن شخصية هذا الرجل.

و في اليتيمة أبيات لعبدالله تدلّ على تديّن الرجل إضافة الى ذوقه الشعري يقول (اليتيمة ٤/٤١٨):

إن يكن خانني الاحبة طراً  
فعلى الله في الأمور اتكالي  
فشجاني جفاؤهم و براني  
و به الاعتصام مما أعاني

٤. محمد بن عبد الله الميكالي، أبو جعفر، ويروي الثعالبي (اليتيمة ٤/٤١٨) أنه «كان مستقداً في الأدب، متبحراً؛ في علم اللغة و العروض، مصنفًا للكتب، مستكثرًا من قول الشعر، و لعل شعره يربي على عشرة آلاف بيت».

و في مدحه و مدح أسرته يقول بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات:

يا بني ميكال والجو	دُ لعلاتي مزيج
شرفاً إن مجال الفض	ل فيكم لفسيح
و على قدر الممدوح	يأتىك المديح
فهناك الشرف الار	فع والطرف الطموح
والندى والخلق الطا	هر والوجه الصبيح

و من الابيات التي بقيت من شعر محمد بن عبد الله الميكالي قوله:

إذا أراد الله أمراً بامرئ	و كان ذا عقل ورأي و بصر
وحيلة يعملها في كل ما	يأتي به جميع أسباب القدر
أغراه بالجهل و أعمى قلبه	وسلّه من رأيه سلّ الشعر
حتى إذا أنفذ فيه أمره	ردّ عليه عقله ليعتبر

بعد أبي جعفر الميكالي، ارتبطت هذه الأسرة بالغزنويين عن طريق علي بن محمد الميكالي.

٥. علي بن محمد الميكالي، أبو القاسم، دعاه السلطان محمود الى غزنة و ولّاه رئاسة المدينة، و لقبه برئيس الرؤساء و الخواجة، و أصبح أمير الحاج لمنطقة خراسان و ماوراءالنهر.

٦. الحسين بن علي الميكالي، أبو عبد الله، و كانت له نفس منزلة أبيه في بلاط مسعود الغزنوي، و اشترك في المعارك بين الغزنويين و السلاجقة و أسر سنة ٤٢٦ هـ بيد جيش السلاجقة، فأنقذه چغرل بيك، و استخدمه السلطان السلجوقي طغرل في الوزارة، و كان الباخري صاحب «دمية القصر» كاتبه، توفي سنة ٤٥٠ هـ نعود الى الابنين الآخرين لاسماعيل، ابو العباس، و هما: محمد و علي.

محمد بن إسماعيل، أبو الحسين أو أبو جعفر كان فقيها متضلعا بالشعر و اللغة و الأدب، محدثاً، روى عنه الحاكم النيشابورى، توفي سنة ٣٨٨ هـ و علي بن إسماعيل، أبو القاسم، جدّ أبي الفضل الميكالي المعروف، و اشتهر بولعه في الجهاد حتى سمّي بالمطوّعي. و من أبناء علي بن إسماعيل المشهورين: أحمد بن علي، أبونصر، و هو وجه في الأدب و الدولة.

٧. أحمد بن علي، أبو نصر، كانت له رئاسة نيشابور، يتحدث العتبي عن مكانته في الأدب و كفايته في إرادة الامور، و بعد نظره، و أبو الفتح البستي أنشد فيه:

جمع الله في الأمير أبي نصر      خصلاً تعلقو بها الأقدارُ  
راحة ثرةً و صدرًا فضاءً      و ذكاءً تبدو له الأسرارُ  
خطه روضة و ألفاظه الأز      هار يضحكن و المعاني غارُ

و يقول عنه الثعالبي: «... و الأمير أبونصر أحمد بن علي الآن بقية الأماجد و غرة الأكارم و عمدة الافضل، و واحد خراسان و مفخرتها و جمالها و زينتها، و من لا نظير له في شرف النفس و بعد الهمة و رفعة الشأن، و تكامل آلات السيادة...».

مدحه الأدباء و الشعراء و أثنوا عليه و منهم أبوبكر الخوارزمي الأديب المعروف، و يقول عن أبي نصر (الديوان / ٣٩٤-٣٩٥):

نجرّ ذيول الفخر حتى كأننا      لعزّتنا في آل ميكال ننتمي  
هُم شحمة الدنيا فان نتعدّهم      الى غيرهم نحصل على الفرث و الدم  
سقى الله الرّوض جوداً كجودهم      و صيرّ آجال الغداة إليهم  
و أبقى أبا نصر ليربي عليهم      سنين كما أربى بنين عليهم

و ممن لازم أبا نصر من الأدباء بديع الزمان الهمداني، و كان يخاطب أبا نصر كما يخاطب المتنبي سيف الدولة في تعظيم مقرون بغرور (اليتيمة ٢٦٣/٤).

أشهر أبناء أحمد بن علي الميكالي: نصر بن أحمد، و أشهر منه عبيدالله بن أحمد الميكالي (المعروف بأبي الفضل الميكالي).

٨. نصر بن أحمد الميكالي، أبو ابراهيم، يظهر أنه كان شاعراً بالعربية و الفارسية، لكنه ما كان ينشر شعره، بل يُلتقط من مجالسه، يقول الثعالبي:  
«... لم يُر مثله في الجمع بين شرف الأهل و كمال المجد و كرم الطبع و بين آداب العربية و الفارسية و الأداب الملوكية، و له شعر بارع قلّ ما يظهره، و لكنّ درره تُلتقط من مجلسه، و درره تختلس من فمه».

ما روي من أشعاره يحكي لطافة ذوقه و قدرته على ابتكار المعاني و على حكمته، يقول:

اتق الله لا الاعداء و اعلم يقيناً      بأن الذي لم يقضه لن يصيبك  
و حظك لا يعدوك إن كنت قاعداً      و لا أنت تعدو حين تعدو نصيبك  
و في أبيات أخرى يستهين بالعيش في القصور، يقول:

عجباً للزمان حين بلاني      بأناس لهم عقول سخيفة  
حسدوني على نزولي خصاً      بعد سكاني في قصور منيفة  
حسد الكلب و الغراب إذا ما      رأيا الباز واقعاً فوق جيفه

و إذا أردنا أن نستوفي الحديث عن أبناء إسماعيل (ابوالعباس) المار ذكره، فنشير الى عباس الذي ارتبط أبناؤه ببلاط السامانيين ثم الغزنويين.

ليست لدينا معلومات عن عباس، لكن المشهور من أحفاده حسن بن محمد المعروف باسم «حسنك الوزير». كان موضع اهتمام السلطان محمود الغزنوي، ففوض اليه منصب الوزارة و هو شاب سنة ٤١٥ هـ يظهر أنه كانت له في نيشابور خدمات اجتماعية و أمنية و إعمارية جليلة، و لذلك مدحه شعراء الفارسية و خاصة «فرّخي».

والغريب أن حسنك هذا سرعان ما نكب و قتله السلطان سنة ٤٢٢ هـ بتهمة القرمطية!

وفي ذلك يقول البغدادي المستوفي:

أبدى لك الدهر في أحواله عجباً      لو كنت يوماً بما تلقاه معتبرا

انظر بعين النهى في حسنك لترى      سحب كل بلاد أرضه مطرا  
 صلب و رجمٌ و حزّ الرأس بعدهما      من يقهر الناس في سلطانه قُهرها  
 ٩. عبيدالله بن أحمد الميكالي، أبو الفضل، أعظم شخصية أدبية في هذه الأسرة.  
 يقول عنه الثعالبي (اليتيمة ٣/٤: ٣٥٤):

«والامير أبو الفضل عبيدالله بن أحمد يزيد على الأسلاف و الاخلاف من آل  
 ميكال زيادة الشمس على البدر، و مكانه منهم الواسطة من العقد، لأنه يشاركهم في  
 جميع محاسنهم و فضائلهم و مناقبهم و خصائصهم، و يتفرد عنهم بمزية الأدب  
 الذي هو ابن بجدته و أبو عذرتة و أخو جملته، و ما على ظهرها اليوم أحسن منه  
 كتابة و أتم بلاغة...».

و نسبت إليه كتب عديدة لم تصلنا. منها: «ديوان أشعاره» و «فضائل الملوك» و  
 «مخزن البلاغة» و «شرح حماسة أبي تمام» و «ملح الخواطر و منح الجواهر» و «شرح  
 ديوان المتنبي»...

و تروى لهذا الامير أشعار فيها ذوق أدبي رفيع، منها قوله في وصف مطر هطل  
 عليه و على رفاقه و هم في طريق سفرهم:

دهتنا السماء غداة السحاب	بغيث على أفقه مسبل
فجاء برعدٍ له رنةٌ	كرنةٌ تكلى و لم تشكلٍ...
و أشرف أصحابنا من أذاه	على خطر هائل مُعْضِلٍ
فمن لائذ بغناء الجدار	و أوالى نفق مُهْمَلٍ
و من مستجير ينادي الفريق	هناك و من صارخ معولٍ
و أقبل سبيلٌ له روعة	فأدبر كلُّ عن المقبلِ
يقلّع ما شاء من دوحه	و ما يلق من صخرةٍ يحملِ
كفانا بليته ربنا	فقد وجب الشكر للمفضلِ
فقل للسماء ارعدي و ابرقي	فإننا رجعنا الى المنزلِ

## المصادر

١. يتمية الدهر في محاسن أهل العصر، الشعالي النيشابوري، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٧٣م.
٢. ديوان البحري، دار الكتاب العربي، ط ١، ١٩٩٤م.
٣. معجم الادباء، ياقوت الحموي، دار الفكر، ط ٣، ١٩٨٥م.
٤. ديوان الخوارزمي، تحقيق د. حامد صدقي، مركز نشر التراث، طهران، ١٩٩٧م.
٥. جمهرة اللغة، ابن دريد، ط ١، حيدرآباد الدكن، ١٣٤٤هـ.
٦. دمية القصر و عصرة أهل العصر، البخارزي، تحقيق التونجي، دارالحياة، دمشق.
٧. الانساب، السمعاني، نشر مرغليوث، مطبعة المثني، بغداد، ١٩٧٥م.

**Mohammad Ali Azarshab**

**Tehran University**

If one talks about the Iranian contribution to the Islamic culture and civilization, he discusses the cultural unity of the Islamic world as well. In this way, in addition to the outstanding to the development of this rich culture, the literary and intellectual Iranian families have also participated a lot in this richness. Hence in this article, the contribution of one of these families, i.e.

Al-e-Mikal has been presented and thoroughly surveyd.

**Key words:**